لقد عانت اوروبا الغربية من عقلية « تشامبرلان » عندما حاولت هذه العقلية حل التناقض مع المجتمع النازي الديناميكي الراغب بالتوسع . ودفعت بلدان اوروبا الغربية وشعوبها ثمن هذه العقلية احتلالا ودمارا واذلالا . وانتقلت هذه العقلية الى السياسة العربية ، وشهدنا بداية آثارها المدمرة عند مجابهة المجتمع الصهيوني الديناميكي التوسعي العدواني منذ حرب ١٩٤٨ ، وفي فترة التحرشات الاسرائيلية على الحدود المصرية والسورية والاردنية في الفترة بين حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ ، وفي الفترة التي فصلت العدوان الثلاثي عن حرب ١٩٦٧ ، وفي حرب ١٩٦٧ نفسها ، ولا نزال نعيش هذه الآثار المدمرة حتى الان .

فمن أين جاءت هذه العقلية التي تشل القوة المسلحة العربية وتضعها دائما في معركة غير متكافئة وفي ظروف سيئة لا تحمل اي أمل بالنصر ؟ وهل حكم على العقل السياسي العربي أن يكون سلبيا **دائما** ، وأن يعكس سلبيته على العقل العسكري ، ويجعله عرضة **دائما** للمفاجأة ؟ ان شلل العقل السياسي العربي ناجم ولا شك عن أسباب متعددة تختلف باختلاف الفترات الزمنية وهي :

آ ــ الردع الامبريالي ، سواء أجاء هذا الردع من ارتباط هذا السياسي العربي أو ذاك بسياسة المعسكر الامبريالي ارتباطا مصيريا وعضويا ، أم جاء من الخضوع للغزو الفكري الامبريالي الذي يقنع هذا السياسي باستحالة مجابهة القوة الامبريالية التي لا تقهر ، أم نجم عن الرهبة أمام فكرة مجابهة عسكرية مباشرة مع الدول الامبريالية التي ضمنت أمن اسرائيل منذ عام ١٩٥٢ ، وتعهدت بأن لا تسمح للعرب بتغيير حدودها ، والتي كانت تملك من قبل قواعد وقوات على أرض العرب ، وهي تملك الان قوات قريبة من المنطقة العربية ، وأساطيل تجوب شرقي البحر الابيض المتوسط ، مهددة بالتدخل عند الضرورة لتنفيذ تعهداتها ازاء الدولة الاسرائيلية . وينعكس هذا الردع على شكل **واقعية** ابو رقيبة وحسين او على شكل محاولة للحفاظ على « **الوضع الراهن** » وعدم التحرش بالعدو أو الرد على تحرشاته بضربات انتقامية . الامر الذي يخلق لدى المواطن والجندي احساسا دائما بالعجز ، يترسخ مع الزمن ليصبح قناعة بتفوق العدو الاسرائيلي ، ويكون مدخلا نفسيا لقبول مصالحته . وأخطر ما في هذا الامر أن السياسي يرفض الاعتراف بأنه خاضع للردع ، ويلجأ الى خداع الجماهير ، ويظهر التناقض بين قوله وفعله ، وبين آمال الجماهير التي يغذيها وقدرته على تحقيق هذه الآمال وقلبها الى حقائق . الامر الذي يؤدي الى الانقلابات والانتفاضات التي يشنها **من لا يعلمون** ضد من **يعملون** . وما ان ينتقل من **لا يعلمون** الى صفوف **العالمين** حتى يتعرضوا للردع نفسه . الا اذا كانوا يمثلون **طبقة ثورية** مقررة على شن المعركة وعدم الخضوع **للردع** رغم التحديات ، اعتمادا على قوى الشعب الزاخرة الواعية .

ب ــ العجز في مجال رؤية حقيقة الصراع . لقد كان الصراع العربي ــ الاسرائيلي منذ بدايته صراعا بين العرب والامبريالية . وسواء اكانت هذه الامبريالية متمثلة في المنطقة بفرنسا وبريطانيا (حتى عام ١٩٥٦) أو متمثلة بالولايات المتحدة (حتى يومنا هذا) فقد جابه العرب عدوهم في حروبهم الثلاث وحيدين ، على حين كان عدوهم الاسرائيلي ــ الامبريالي مشتركا بالمعركة في معسكر واحد **متلاحم عضويا** . وكانت الخسارة في كل مرة ناجمة عن عدم تكافؤ القوى .

ولم يع الكثير من السياسيين حتى الان انه لم يعد في عصرنا « عصر الصراع بين نظامين اجتماعيين سياسيين متعارضين » أي مجال للحروب بين بلدين دون أن يكون لذلك انعكاس على الصراع الاكبر البارد بين العملاقين الكبيرين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اللذين أصبحا اليوم ثلاثة عمالقة بعد خلاف الصين الشعبية مع الاتحاد السوفييتي ، وبعد انضمامها الى « النادي الذري » . كما لم يع هؤلاء السياسيون أن